



اسم المقال: ترجمة مقال "انجراف حلف الشمال الاطلسي" للكاتب وليم دروزديك

اسم الكاتب: مصطفى نعمان احمد

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/library/1910>

تاريخ الاسترداد: 2026/04/11 22:04 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت. لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>

تم الحصول على هذا المقال من الصفحة الخاصة بالمجلة السياسية والدولية على موقع المجلات الأكاديمية العلمية العراقية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسية مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكرية ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينصوي المقال تحتها.



الجغرافة خلف الشمال الاطلسي (*)

وليم دروزدياك (**)

ترجمة

مصطفى نعمان احمد

تحول المد

تعد اعادة بناء الشراكة عبر الاطلسي واحدة من اهم التحديات الاستراتيجية التي تواجه الرئيس جورج بوش في ولايته الرئاسية الثانية. فبعد ان بددت التعاطف العالمي الذي تبلور اثر هجمات الحادي عشر من ايلول ٢٠٠١، ومدت القوات المسلحة الامريكية الى ابعد مما هو متوقع في أفغانستان والعراق، وحدثت عجزاً في الميزانية جد هائل بحيث لن يكون بالامكان تفادي تدني في قيمة الدولار الا بضخ دفعات كبيرة من رأس المال الاجنبي، فان واشنطن تتعلم الان درساً قاسياً مفاده ان حتى القوة العظمى الوحيدة في الكون بحاجة الى حلفاء. فكونها تفتقر الى قوات كبيرة واموال هائلة تتمكن بواسطتهما من صياغة العالم كما تريد، فان الولايات المتحدة ستكثرون بحاجة الى اقناع اخلاقي بدلاً من القوة الوحشية اذا ما ارادت الاستحواذ على القلوب والعقول في الخارج والابقاء على قوتها التي لا نظير لها طوال القرن الواحد والعشرين.

والمكان الذي ينبغي البدء منه هو في الديمقراطية الاربعين المنتشرة على امتداد أوروبا. فخلال السنوات الاربع المنصرمة، عانى حلف الاطلسي من ضرر جسيم. فقد تآكلت الثقة، بين كلا الجانبين، بسبب الخلاف حول حرب العراق والميل الامريكي المتزايد للقيام بعمل احادي، لاسيما مبدأ بوش المتمثل بالحرب الوقائية. وفي الوقت نفسه، فان توسع الناتو والاتحاد الاوروبي انهي صدع الحرب الباردة واوجد

(*) مقال منشور في مجلة "شؤون خارجية" الامريكية ٢٠٠٥.

William Drazadiak The North Atlantic Drift Foreign Affairiers, January-February 2005, pp.89-98.

(**) وليم دروزدياك الرئيس للمجلس الامريكي الخاص بالمانيا في مدينة نيويورك. وسبق ان شغل منصب المدير التنفيذي للمركز عبر الاطلسي التابع لصندوق مارشال الخاص بالمانيا الذي يتخذ من بروكسل مقراً له.

فرصاً لواشنطن لاعادة صياغة العلاقة عبر الاطلسي-انجع تحالف في التاريخ على الأرجح.

ومع شروع الرئيس بوش بولابته الرئاسية الثانية، فيكون بحاجة الى ان يبرهن لمننقديه ان بإمكانه اعادة اكتشاف قيم الدوليين الجمهوريين. وستوجب عليه اعادة صياغة العلاقة عبر الاطلسي وذلك بتحويل الصراع الموحد للحرب الباردة الى تصميم جديد مشترك لمحاربة الارهاب وانتشار اسلحة الدمار الشامل، فضلاً عن الترحيب بالمبادرات الطرية لتحقيق السلام في الشرق الاوسط وازالة فتيل ازمة محتملة في الطاقة العالمية. فالتوترات بين الولايات المتحدة والدول الاوروبية لن تعمل الا على تفاقم عدم الاستقرار العالمي. ولكن هذه الامم تشكل، معاً، الاساس الوطيد لتحالف فعال للديمقراطيات التي بإمكانها قيادة دعم عالمي النطاق لجملة من المسائل المهمة. ولتحقيق هذا الفهم الاستراتيجي الجديد، يتعين على الولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي دعم الجوانب الحاسمة الثلاثة لتحالفهما المتمثلة في شراكتها الاقتصادية، واستراتيجيتهما الامنية، وسياستها الخارجية.

زواج مصلحة:

ان أي اعادة تقييم للحالف عبر الاطلسي ينبغي ان يبدأ بمقدمة مهمة بيد انها غالباً ما تكون مهمة: ان الولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي ما انفكا المحركين النوامين للاقتصاد العالمي ومعاً، ينهضان باعباء اكثر من نصف التجارة والتدفقات الاستثمارية في العالم. فتجارتها مع بعضهما تتجاوز (٢,٥) تريليون دولار امريكي سنوياً وتوفر وظائف لزهاء (١٢) مليون عامل.

وخلال السنوات الثمان المنصرمة، استثمر الامريكان ما مقداره ضعفين في هولندا والمكسيك وعشرة اضعاف في الصين. وخلال هذه المدة، استثمر الاوروبيون في تكساس اكثر مما استثمر الامريكان في اليابان. واليوم، تستثمر التجارة الامريكية اكثر بمقدار (٦٠%) في اوروبا الشرقية مما تستثمره في الصين: (١٦,٦) بليون دولار مقابل (١٠,٣) بليون دولار، طبقاً لحدث بيانات صادرة عن وزارة التجارة الامريكية. وعلى العكس، توفر اوروبا (٧٥%) من مجمل خارجي للوظائف في امريكا؛ فشرية سيمنس الصناعية الالمانية العملاقة توظف لوحدها زهاء (٧٠) الف امريكي.

لقد اثبتت هذه الاستثمارات عبر الاطلسي انها جد مربحة. ففي عام ٢٠٠٣، وبينما اوردت وسائل الاعلام ان الامريكان كانوا يسكبون نبيذ بورديو في البالوعات احتجاجاً على موقف فرنسا من الحرب في العراق، فان شركة امريكا المتحدة وجدت ان الارباح والتدفقات الاستثمارية من فرنسا تصاعدت الى اعلى مستوى لها خلال ما

يقارب عقد: (٢,٤) بليون دولار و(١,٧) بليون دولار على التوالي. فالأرباح التي حققتها المؤسسات الأمريكية في أوروبا ارتفعت إلى (٧٧) بليون دولار، والاستثمارات الأمريكية في أوروبا قفزت بنسبة (٣٠%) إلى (٧٨) بليون دولار. وشركات التكنولوجيا الأمريكية الكبرى، كمايكروسوفت و إنتل، تتسأت أن تضعف عوائدها العالمية سنأتي من أوروبا في ٢٠٠٥.

ولذا يقول قادة القطاع التجاري الأمريكي ان مستهنيكي الاتحاد الاوروبي الاثرياء مازالوا يشكلون المجموعة الاكبر للقوة الشرائية في العالم. ويقولون ايضاً ان المصلحة الشخصية الاقتصادية ينبغي ان تكون كافية بحد ذاتها لانفساع السديمقراطيين والجمهوريين في الولايات المتحدة اذا ما اراد حماية الشراكة الاطلسية-ذلك ان القوة الاقتصادية المشتركة للولايات المتحدة وأوروبا ستمنحها طاقة هائلة للتعامل مع التحديات العالمية الرئيسية.

ورغم بلايين الدولارات المستثمرة فعلياً في كلا الجانبين، فان الامكانية الكاملة للعلاقة الاقتصادية الأمريكية-الاوروبية لم تتحقق بعد. فما زالت ثمة اربعة تحديات كبيرة، يتمثل التحدي الأول في ادارة العالم الغربي لازمة الوظائف المتفاقمة (التي تتسبب بعض الشيء جراء وجود اماكن للاجر الرخيص كالصين والهند) دون اللجوء الى اجراءات حمائية شديدة القسوة كتلك التي احدثت الكساد الكبير. والتحدي الثاني يكمن في ان الولايات المتحدة وأوروبا، بوصفهما المستهلكين الرئيسيين للنفط، والفحم، والغاز في العالم، بحاجة ماسة الى دراسة الطاقة المشتركة والاستراتيجيات البيئية لتقليل اعتمادهما على الوقود الاحفوري وتقليل انبعاث الغازات من البيوت الزجاجية. ويتمثل التحدي الثالث في وجوب قيامهما بعقد دورة الدوحة لمفاوضات التجارة العالمية وذلك باتفاقهما على تخفيض المزيد من الـ(٣٠٠) بليون دولار الخاصة باعانات التصدير الحقلي، التي تضر بالمنتجين في الدول النامية وتعمق الانقسام بين الدول الغنية والفقيرة. واخيراً، يتعين عليهما دراسة الاصلاحات المالية العالمية لتجنب ازمة في قيمة الدولار والاحذ بالحسبان الاهمية المتزايدة لليورو.

وبدون شك، فان أوروبا والولايات المتحدة سيختلفان احياناً حول قضايا تجارية، فالتوترات قد تتفاقم جراء الرغبة المتزايدة للاتحاد الاوروبي المتوسع بمواجهة الولايات المتحدة حول الاعانات المالية للطائرات، والانظمة المضادة للتروستات او التجميع لضخم للرساميل، والاعذية المهندسة احيانياً، والاستساخ. غير ان التجارة جد تعمل على نشر الشراكة عبر المحيط الاطلسي بحيث ان المصالح الفعالة فسي أوروبا والولايات المتحدة ستدفع باتجاه اتخاذ قرار سلمي فيما يخص هذه الامور.

اوجدت حقيقة ان كلنا الشركتين نوظفان آلاف العمال في كلا جانبي الاطلسي جماعة ضغط هائلة تبحث عن تسوية للحفاظ على الوظائف والمنافسة السليمة. ولهذا،

ورغم بعض الاختلافات التي لا يمكن تجنبها، فإن قوى العولمة والأسواق التنافسية تقربان الولايات المتحدة وأوروبا من بعضهما، ولا تجعلهما بعيداً عن الآخر.

الاهداف المتحركة

ستتمثل المهمة الأصعب في تقريب الشقة فيما يخص السياسة الامنية والخارجية التي اتسعت بشكل جد مفاجئ جراء الاختلافات حول الحرب في العراق. وحتى افضل نوايا الطرفين قد لا تكون كافية لتهدئة الخلافات الحالية. وفي الواقع، فإن الاختلافات الجوهرية حول الاحادية ومنع استخدام القوة طرحت سؤالاً مزعجاً: هل بإمكان أوروبا والولايات المتحدة تطوير جدول اعمال استراتيجي مشترك للتعامل مع تهديدات القرن الواحد والعشرين، ام هل سيتجاهلان فكرة الدفاع الجماعي مع انتهاء الحرب الباردة ويسيران بطرق منفصلة؟

ان التوترات في هذه المنطقة ليست بالشئ الجديد. فمذ انشاء الناتو لمواجهة السياسة التوسعية السوفيتية قبل اكثر من نصف قرن، يحاول الامريكان والاوربيون تجنب الازمات التي تتحدى ديمومة الحلف. فهزيمة السويس، وضغينة حرب فيتنام، وطرده شارل ديغول للناتو والجنود الامريكان من فرنسا، والاحتجاجات الجماهيرية في الثمانينيات على نشر معدات نووية وصواريخ كروز في أوروبا كلها دعمت التخمين ان الحلفاء الغربيين كانوا على شفا الاطلاق. ومع ذلك فإن النفور الحالي يبدو اشد خطورة. فانهيار الاتحاد السوفيتي وهجمات الحادي عشر من ايلول غيرتاً تغييراً جوهرياً الاعتقاد بأن لاوريا والولايات المتحدة مصالح امنية خاصة.

وخلال الحرب الباردة، تملك الاوربيون الخوف من ان بلدانهم قد تتحول الى ساحة حرب نووية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي. بيد ان هذا الكابوس بدأ بالتلاشي مع انهيار جدار برلين في التاسع من تشرين الثاني ١٩٨٩ (التاسع من تشرين الثاني هو التاريخ الذي تردد صدهاء عند الاوربيين بذات القوة التي تردد فيها صدى التاسع من ايلول عند الامريكان تقريباً). والان، وللمرة الاولى منذ اجيال عدة، فإن الاعمال العدائية بين فرنسا والمانيا باتت امراً لا يمكن التفكير فيه. وفي الواقع، فإن الحربين العالميتين الضروستين جعلتا العديد من الاوربيين حذرين من استخدام القوة العسكرية لاي سبب كان. فانهيار الاتحاد السوفيتي، وتفاؤل الصراع الداخلي في البلقان، والتوسع الناجح للناتو والاتحاد الاوربي ليشمل اوربا الوسطى والشرقية ازلت كل التهديدات المنظورة للنظام السلمي للقارة.

منذ الحادي عشر من ايلول والامريكان يشعرون بعدم الارتياح. ونتيجة لذلك، تبلورت لديهم دوافع مادية قوية، مع القليل من الكوابح حوا استخدام نفوذ بلدهم العسكري المرعب، لاسيما في الحرب على الارهاب. والاوروبيون لا يفهمون الجرح

الأمريكي فهماً كاملاً، بعض الشيء لأنهم، على الجانب الآخر من الأطلسي، يتمتعون بدرجة لا سابق لها من استتباب الهدوء. ولخشيتهم من تعكير صفو هذا الاستقرار يبدو العديد من الأوروبيين الآن معارضين للتدخل في صراعات بعيدة وغير شرعية في العراق أو إيران إيفاءً للالتزامات العسكرية مع الولايات المتحدة. فالي جانب الأذراء بقيادة بوش، فإن الخشية حفرت أوربا على دراسة الحكمة من حشد القوات العسكرية والموارد لصالح اجندة أمنية تقودها واشنطن. فما من رئيس أمريكي، مهما كان موقفه ودياً تجاه حلفائه الأوروبيين، يأمل الأمن باستعادة الولاء الأوربي للقيادة الأمريكية الذي ساد طوال النصف قرن الذي تلا الحرب العالمية الثانية.

ومع ذلك، فإن الصدع في العلاقات عبر الأطلسي ليس عاصياً على الإصلاح. ففي استطلاع حديث للرأي اجراه صندوق مارشال الألماني في الولايات المتحدة في حزيران ٢٠٠٤ وجد، للمرة الأولى منذ ان بدأت استطلاعات كهذه في ٢٠٠١، ان (٥٨%) من مجموع عشرة آلاف أوربي تقريباً استطلعت آراؤهم في تسعة بلدان اعتقدوا انه من غير المرغوب فيه وجود قيادة أمريكية قوية في العالم. وفي الوقت نفسه، وجد استطلاع اجريته مؤسسة ترانس اتلانتيك تريندس (Transatlantic Trends) ان (٧٩%) من مجموع أربعة آلاف أمريكي ارادوا ان يخضع الاتحاد الأوربي لقيادة عالمية. وهذه النتائج عكست زيادة في الغضب الأوربي على ادارة واشنطن للشؤون العالمية وفي الدعم الشعبي الأمريكي للمزيد من تأكيد الشراكة مع الاتحاد الأوربي. واعتقدوا ان للادارة الأمريكية الجديدة فرصة عظيمة في بناء شراكة اكثر عدلاً تتال رضا كل من المصوتين الأمريكان، الذين لم يعودوا راغبين بضبط الأمن في العالم لوحدهم، ومن الأوروبيين، الذين يرغبون بتقييد القوة الأمريكية.

ان التغييرات الدولية الحالية في أوربا قد تعمل على تعقيد مهمة واشنطن. فالمناقشات ضمن الاتحاد الأوربي حول المصادقة على الدستور الأوربي واستمرار التوسع في العضوية قد تؤخر حواراً جديداً حول المسائل العالمية الملحة مع الولايات المتحدة. فالنقاش القديم حول "ماهية أوربا؟" - الذي جعل الفيدراليين يؤيدون نوعاً من الولايات المتحدة لأوربا مقابل القوميون الذين يفضلون اتحاداً طليقاً يعزز السيادة الوطنية - قد جرى تجاوزه جراء الجدل الملتهب حول "اين أوربا؟". فرومانيا وبلغاريا من المزمع ان تنظما الى الاتحاد الأوربي في ٢٠٠٧. ومع تركيا التي تنتظر مفاوضات القبول في عضوية الاتحاد، يشعر الأوروبيون بالحاجة الى التأكد فيما لو انهم سيفقدون وسائل الامان التقليدية بانضمام تركيا ذان الـ (٧٥) مليون مسلم وامتداد الاتحاد الأوربي الى حدود الشرق الأوسط.

وزيادة على ذلك، تحركت الناتو ابعد بكثير من مسرح عملياتها الطبيعي، حين اضطلعت بقيادة جهد ضغط السلام الدولي في افغانستان. وكان بإمكان تفويضها المنتامي ان يخلق خلافاً، لاسيما بين الناتو والاتحاد الاوربي، رغم ان تسع عشرة دولة اوربية تنتمي الى كلتا المنظمين. واعضاؤها يناضلون، على سبيل المثال، من اجل ارضاء وجهات النظر الروسية المتعارضة. فجمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق ودول اوربا الشرقية حذرة من ان تصبح تابعة للمخطط السابق في الكرملين. وفي غضون ذلك، فان حكومتي فرنسا ومانيا تواقبتين لكسب ود الرئيس فلاديمير بوتين بغية الوصول الى النفط الروسي وتجهيزات الغاز.

وعلى الرغم من ذلك، قدمت التغييرات الهيكلية لاوروبا فرصة نادرة لواشنطن لاعادة صياغة الاجندة الامنية لحلف الاطلسي في هذا القرن. فمعظم فترات نصف القرن المنصرم، انصب التركيز الرئيس للسياسة الامريكية الخارجية على الحيلولة دون غزو الاتحاد السوفيتي وحلفائه لاوروبا الغربية وبلورة اوربا معافاة وحررة. وبما ان هذه الاهداف قد تحققت، فان الولايات المتحدة بحاجة الى اعادة تنظيم مصالحها الامنية الحالية والمستقبلية التي ستكون على افضل حال بجعل اوربا شريك كامل في ادارة الشؤون العالمية.

ورغم الخسارة التي لحقت بصورة واشنطن جراء التمرد في العراق والانتهاكات في ابي غريب وغوانتانامو، اعترف الاوربيون بأنه لا يمكن السماح للولايات المتحدة بالاخفاق في اعادة بناء افغانستان والعراق وفي جلب الديمقراطية الى الشرق الاوسط الكبير. فادارة بوش ما زالت معتمدة على الدعم المهم الذي تتلقاه من المملكة المتحدة، فضلاً عن بولندا، ودول البلقان، والديمقراطيات الجديدة في اوربا الوسطى والشرقية التي ما فتئت ممتنة امتناناً عميقاً لدور امريكا في تحريرها من السديكتاتوريات الشيوعية.

ولكن حتى في هذه الدول، فان النية بمقدور واشنطن الحفاظ على الدعم الا باعادة سلك الطريق الذي قامت بوساطته بادارة العلاقة عبر الاطلسي، واخذ الحساسيات الجغرافية الاوربية، والاحتياجات الامنية، والمصالح السياسية المتميزة في الحسبان. وفي بعض الحالات، قد تحتاج الولايات المتحدة الى التخلي عن المبادرة فيما يخص بعض الامور الامنية الاقليمية كي تشجع اوربا على انجاز طموحاتها ومسؤولياتها العالمية الابرز.

ويعترف منتقدو الاتحاد الاوربي ان الدول الاوربية قد حققت نجاحاً مذهلاً في اصفاء الاستقرار على قارة عبثت بها الحرب بصورة دائمية- اولاً بالمصالحة الفرنسية الالمانية، وبعدها بضم الدول الشيوعية السابقة ضمن سوق موحد والمنطقة الامنية للناتو، ولكن بما ان اوربا بمنأى عن التهديدات التي تستلزم تدخلاً امريكياً

كبيراً، فإن المتشككين الامريكانيين- لاسيما المحافظين الجدد الذين يعتقدون ان اوربا لم تعد تشاطر وجهة النظر الامريكية العالمية- يعتقدون ان حلف الاطلسي لا يستحق ان يمثل اولوية رئيسية في السياسة الخارجية لواشنطن. ويزعمون ان عدم الاهتمام باوربا له ما يبرره لان اوربا برهنت عل انها معارضة لاظهار قوة سياسية وعسكرية تتناسب ووزنها الاقتصادي لمساعدة الولايات المتحدة في مواجهة التهديد الجديد للارهاب الجهادي، وازدياداً باجراءات الاتحاد الاوربي، فان هؤلاء المنتقدين اطلقوا على خافيير سولانا، مفوض الاتحاد الاوربي للسياستين الخارجية والامنية، تسمية "المفوض السامي للمستوى الاقل شيوعاً".

ومع ذلك فان هؤلاء المنتقدين ليسوا محقنين تماماً، ولم يعترفوا بأن قلقهم قد اخذ على محمل الجد. فسولانا، الذي بالامكان ان يصبح اول وزير خارجية لاوروبا بموجب الدستور، اعترف بأن اوربا بحاجة الى اتخاذ موقف اصلي، واكثر فاعلية ازاء خطر المتطرفين الاسلاميين، بدلاً من توجيه النقد غير الموجب للسياسة الامريكية. وقال ان الاتحاد الاوربي يكافح من اجل رصف سياسته الخارجية واولوياته الامنية مع مثيلاتها الامريكية. ففي كانون الاول ٢٠٠٣، صادق قادة اوربا على استراتيجية امنية جديدة تشجع على بسط قوة في الخارج لتعمل كدفاع متقدم ازاء التهديد الذي تشكله الدول المخدولة، والارهاب، واسلحة الدمار الشامل. وصادقوا ايضاً على تقاسم المعلومات الاستخباراتية، وتنسيق جهود مناهضة الارهاب، ويجاد امر اعتقال اوربي يسهل تسليم الارهابيين. وكلما حققت اوربا قدرة اكبر على التعامل مع التهديدات العالمية، فأن الولايات المتحدة ستجد ان بالامكان استخدام مواردها الخاصة بصورة اكثر فاعلية بالترادف مع شريك اوربي اقوى،

شرطي جيد، شرطي رديء

بامكان اوربا والولايات المتحدة الامريكية ان تجدا ايضاً ارضية مشتركة تخص السياسة الخارجية. فرغم الانقسامات العاطفية المترددة ضمن اوربا حول التدخل الامريكي في العراق، فلا يزال ثمة دعم كبير عبر الاتحاد الاوربي لاجراء تنسيق اكبر مع واشنطن. فقد واصل سولانا عملية الوثيق مع وزير الخارجية كولن باول للابقاء على جهود حفظ السلام في البلقان والشرق الاوسط. ومع ان وضع كوسوفو لما يزل دون حل و"خارطة الطريق" لاجلال سلام اسرائيلي-فلسطيني وصلت الى طريق مسدود، فان تقدماً متواضعاً قد تحقق في التعاون عبر الاطلسي فيما يتعلق بكلنا المسائلتين. فخليفة باول، كوندوليزا رايس، بمقدورها بل ويتوجب عليها ان تعتمد على التطورات الجديدة، كاضطلاع اوربا بمهام حفظ السلام في البلقان والقيادة الفلسطينية الجديدة اثر وفاة ياسر عرفات.

فالموجودات الأمريكية والأوروبية مكملة لبعضها البعض، والميل الأوربي لتقديم حوافز دبلوماسية ينبغي ان يتوافق مع الميل الأمريكي باستخدام تهديد القوة العسكرية. فالدبلوماسية المتناسقة ستساعد على انجاز طموحات اوربا بلعب دور اكثر فاعلية في الشؤون العالمية مما يشجعها على العمل بصورة وثيقة في شراكة مع الولايات المتحدة. وفي الوقت ذاته، فإن اقامة جبهة موحدة سيعيد للاجراء الأمريكي الشرعية الدولية التي افتقدتها الاحادية العنيفة لادارة بوش.

وعلى واشنطن السماح لحلفائها في اوربا بتزعم المبادرات السياسية الجديدة في مناطق يتمتعون فيها بنفوذ اكبر او صلات تاريخية. خذ ايران على سبيل المثال. فادارة بوش كانت متشككة حوا اعلان ايران ان انشطتها النووية مكرسة للاغراض السلمية فقط، بيد انها شجعت اوربا على القيام بمحاولة اخيرة لاقتناع طهران بايقاف أنشطة تخصيب اليورانيوم والتأكيد للعالم انها لا تحاول انتاج اسلحة نووية.

ويقول الدبلوماسيون الاوروبيون ان رفض ايران قبول العرض الاوربي، الذي يشمل تعزيز الامكانيات التجارية وتأكيد تجهيزات الوقود النووي، سيؤدي قطعاً الى دعم الاتحاد الاوربي لعقوبات الامم المتحدة التي تؤيدها الولايات المتحدة الأمريكية. وفي الواقع، فإن توافق الدبلوماسية الاوربية والتهديدات الأمريكية بفرض عقوبات اشد قد عززت الآمال من ان ايران ستلتزم في نهاية الامر باتفاقيتها الاخيرة بوقف كل أنشطة تخصيب اليورانيوم.

ان دور ناشط لاوربا كان من الممكن أيضاً ان يتمخض عن تأثيرات مفيدة تخص جهود الوساطة بين الاسرائيليين والفلسطينيين. فطالما كان ينظر الى الولايات المتحدة على انها القوة الخارجية الوحيدة القادرة على الحصول على تنازلات من اسرائيل-تشمل تفكيك المستوطنات في غزة والضفة الغربية-بينما انحصر دور اوربا بتقديم المساعدات الانسانية والدعم المالي الى الفلسطينيين. ومع ذلك فإن دوراً ناشطاً للاتحاد الاوربي يتم من خلاله تقديم الحوافز التجارية والمساعدات الى اسرائيل من الممكن ان يساعد في اعادة الطرفين الى طاولة المفاوضات. اذن، ورغم العلاقات الامنية الوثيقة مع الولايات المتحدة الأمريكية، فإن اسرائيل ما انفكت تعدد الاتحاد الاوربي شريكها الاقتصادي الاهم.

ان دبلوماسية اقتسام الجهد ستخفف من عبء الولايات المتحدة التي تحمل حصة الاسد من مسؤوليات حفظ السلام الاقليمي. ويقول المحللون انها ستساعد على دحض سمعة "التهرب" التي اكتسبها الاوروبيون جراء تهربهم احياناً من المهمات العسكرية الصعبة علماً بأن الولايات المتحدة هي التي كانت تعوض هذا التهرب في اداء الواجب. ففي البلقان، حيث سرعان ما سيضطلع الاتحاد الاوربي بالسيطرة على حفظ السلام الدولي، فإن نوعاً كهذا من اعادة التقييم جارياً فعلياً.

وقد يكون ثمة تغيير أكبر في الواجبات. وفي الحقيقة، فإن الحلفاء الأوروبيين قد كيفوا قواتهم العسكرية لبيئة ما بعد الحرب الباردة بشكل أفضل مما يعتقد المتشككون في أمريكا. فالقوات المسلحة الأمريكية تضم حوالي (١,٤) مليون رجل وامرأة مع حوال (٤٠٠) ألف جندي في قوات الانتشار الخارجي. ولدول الاتحاد الأوروبي الخمس والعشرين (١,٩) مليون عسكري في قواتهم المسلحة، ومع ان (٥٠) ألف منهم فقط بالامكان ارسالهم الى الخارج، فإن هذا الرقم من المتوقع ان يصل الى (٢٠٠) ألف خلال العقد القادم. والميزانية السنوية لاعضاء الاتحاد الاوروبي البالغة (١٧٥) بليون دولار الخاصة بشؤون الدفاع قد تبدو ضئيلة قياساً بميزانية الولايات المتحدة التي تبلغ (٥٠٠) بليون دولار للسنة المالية الجارية، لكنها تتجاوز الميزانيات العسكرية للصين، واليابان، وروسيا مجتمعة.

وعلاوة على ذلك، جرى تنفيذ عدد من المشاريع الرئيسية لاصلاح النواقص العسكرية لأوروبا وتجهيزها باسطول نقل جوي طويل المدى، ومنظومة استطلاع مستقلة ذاتياً للأقمار الصناعية، واسلحة جديدة دقيقة التوجيه، ومئات الطائرات السمتية الخفيفة المستعملة في النقل. وهناك الآن (١٩) ألف جندي من خمس عشرة دولة اوروبية من اعضاء الناتو في العراق وسبعة آلاف جندي اوروبي في قوات حفظ السلام التابعة للناتو في افغانستان.

وفي البلقان، فإن القوات الاوروبية البالغ عددها (٣٠) ألف جندي والتي تضطلع بقيادة قوات حفظ السلام في كل المواقع الساخنة للمنطقة تقريباً، وتشمل البانيا، البوسنة، وكوسوفو، ومقدونيا، يفوق عددها عدد القوات الامريكية. ولتوقعها ان المهام المستقبلية ستستلزم دوريات شوارع بدلاً من قوة نارية، فقد تم انشاء قوة شرطة جديدة يبلغ تعدادها (٥٠٠) جندي تابعة للاتحاد الاوروبي للقيام بواجبات حفظ السلام في الخارج. وثلاث مهام من هذا النوع اجريت تحت علم الاتحاد الاوروبي في ٢٠٠٣، في جمهورية الكونغو الديمقراطية، والبوسنة، ومقدونيا.

نزعة ثانية

"اذا اردت الحصول على وجبة رخيصة من احياء معينة في امريكا، فكل ما يتعين عليك عمله هو ان تعنف الامم المتحدة، او الفرنسيين، او الفكرة القائلة ان الحلفاء مؤهلون لبلورة افكارهم الخاصة" هذا ما قاله جريس باثين، مفوض الاتحاد الاوروبي آنذاك امام البرلمان الاوروبي في شهر ايلول. ومضى قائلاً ان الاوروبيين يعتقدون ان اثاره واشتطن للحروب سيجعلهم في حل من وجوب قيامهم بتحديد سياستهم الخارجية. ومضى محذراً "ان العالم يستحق افضل من التهرب من المسؤولية في جانب والاستكبار في جانب آخر".

ورغم ان الخلافات الحادة في الرأي ستستمر، لاسباب تتعلق بالوضع السياسي، فانها ينبغي ان لا تعوق التزامات الحلفاء بالعمل معاً. فاوروبا ستبقى تدين عقوبة الاعدام واقحام القومية الدينية في السياسة الامريكية، والامريكان سينتقدون البرامج السخية للرعاية في اوربا وانظمة السوق الابوية فيها. ولكن بسبب مواردها الاقتصادية، والسياسية، والعسكرية الهائلة، فان الولايات المتحدة والاتحاد الاوربي بحاجة الى انتهاء الازمة الحالية كفرصة لتجديد تحالفهما. فلكي تتال الشراكة الاطلسية فرصة حياة جديدة، يتعين على الحلفاء اعادة اكتشاف الاحترام والتسامح المتبادلين والسعي، وفقاً للتقاليد الديمقراطية، الى تسوية خلافتهما بدلاً من توجيه النقد لدوافع بعضهما البعض.

تلك الادارات الجديدة تتسلم الان السلطة في واشنطن وبروكسل وبحوزتها جداول اعمال دسمة تمثل فرصة غير متوقعة لاعادة الاهمية للشراكة الامريكية-الاوربية. وحين يقيم اولوياته ويدقق في اختيار فريقه للامن القومي، فان الرئيس بوش يبدأ ولايته الجديدة وصورة امريكا في العالم اكثر قتامة من أي وقت مضى في التاريخ الحديث. ورغم ان معظم الاوربيين يساورهم الشك من التزام بوش بالتحالف، فلما يزل بإمكانه الاعتماد على الدعم من رئيس الوزراء البريطاني توني بليز ووجهات النظر الاطلسية لمفوض تنفيذي جديد للاتحاد الاوربي يرأسه رئيس الوزراء البرتغالي السابق، جوس مانويل باروسو. ومعاً، بإمكانهم مساعدة القادة الامريكان والاوربيين كي يضعوا نصب اعينهم ان الحلف الاطلسي سيبقى مؤسسة حاسمة للنظام العالمي، والذي بالامكان بل يجب الحفاظ عليه بتوافق القوة العسكرية الامريكية والشرعية الدبلوماسية للديمقراطيات الاوربية المتعددة. وقد زعم احد هذه الشعارات التي رفعها بوش في ادارته الاولى ان المهمة تحدد الائتلاف. وبما انه يبحث عن مكان له في التاريخ وليس مجرد الرئاسة-فان بوش سيفعل ما بوسعه لتعديل هذا الشعار. وولايته الرئاسية الثانية ستكون اكثر نجاحاً بكثير اذا ما تمكن من الاعتراف باهمية ضمان الدعم بين حلفاء الولايات المتحدة الامريكية التقليديين قبل الشروع بمهام في الخارج.